مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

ملفُّ الشعائرِ الحُسينية

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّون

ملفُّ الشعائرِ الحُسينية

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في خمس حلقات وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 2010/12/31

يا زهـــراء

بسم الله الرحمن الرحيم

يا فاطِمة قُومي إلى الطفوفِ هَذا حُسينٌ طُعمَةُ السُيوفِ

الأرضُ تَبكي والسما واويلاه هذا حُسينٌ في الدما واويلاه

الحلقة الاولى

الشعائرُ الحُسينيةُ في الأفقِ الإنساني

بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

يا فاطِمة قُومي إلى الطفوفِ هَذا حُسينٌ طُعمَةُ السُيوفِ

الأرضُ تَبكي والسما واويلاه هذا حُسينٌ في الدما واويلاه

سلامٌ عليكم أيُّها الحُسينيون بين أيديكم ملفُّ الشعائرِ الحُسينية الحلقة الأولى.

الشعائرُ الحسينية مأخوذةٌ من الشعيرة أو من الشِعار، ولا أريد هنا أن أقفَ طويلاً عند الأصول اللغوية لهذا العنوانِ أو لهذا المصطلح، الشعائرُ الحسينية إن كانت شعيرةً أو كانت شِعاراً هي نقطةٌ ومحطةٌ يتركّزُ فيها الشعور وتلك هي أهمُّ محطات الحياة الإنسانية، الإنسانُ في حياتهِ يتنقلُ بين نُقطةٍ وأخرى ويقفُ عند مَحطةٍ وأخرى، أهمُّ ما يُميّزُ نقاط الحياة الإنسانية الواضحة أو محطات الحياة هو تركّزُ الشعور والإحساس فيها، فالإنسانُ في حقيقتهِ مجموعة مشاعر ومجموعة أحاسيس وحتى أفكارهُ التي تمثل القمةَ في القيم الإنسانية هذه الأفكارُ في مبادئها وفي أصولها وفي بقائها وفي ثباتها وفي فاعليتها في الحياة اليومية إنما تستندُ إلى المشاعر وإلى الأحاسيس، الشعائرُ إذاً هي مجامع للشعور، إذاً هي محطاتٌ يتركّزُ فيها الشعور الإنساني، الشعور الإنساني في بُعديه: في بُعدهِ المفرِح، وفي بُعدهِ المحزِن، يُمثل الحالة الخاصة بهذا المخلوق الذي يتميز بهذه المميزات عن غيره من المخلوقات الأخرى التي تعيشُ معه في هذا العالم، أنا لا أنكرُ أنّ الحيوانات هنا قد تملك قدراً من الإحساس بالفرح أو من الإحساس بالحزن لكنَّ الإنسان ذلك المخلوق الذي يتجلى فيه معنى الحزن ويتجلى فيه معنى الفرح في أعلى مراتب هذين المعنيين، قيمة الإنسان في مشاعرهِ وأوضح مشاعر الإنسان الحزن والفرح، وإلى هذا أشارت كلمات المعصومين صلوات اللهِ وسلامه عليهم أجمعين في وصف أشياعهم بأنهم يفرحون لفرحنا ويحزنون لِحُزننا، لأن الفرح والحزن هما العنوانان الواضحان في حياة الإنسان وفيما تتميز به حياتُه اليومية.

إذا سارت رتيبة الحياة في كلِّ يوم من دون فرح ومن دون حزن فليس هناك من علامةٍ فارقة في حياة ذلك

الإنسان، العلامة الفارقة في حياة الإنسان حينما يتجلى الفرحُ أو يتجلى الحُزن، وللفرح أسبابهُ وللحزن أسبابه، ولا أريدُ الحديثَ كثيراً عن ظاهرة الفرح وعن ظاهرة الحزن في حياة الإنسان إلا أنهما بشكل بديهي وبنحو فطري يمثلان قيمةً واضحة في حياة المخلوق البشري.

الشعائرُ الحسينية هي مراكزُ استقطاب لذلك الشعور، الشعائرُ الحُسينية هي بُؤَرٌ يتجمع فيها الشعور والإحساس في أنقى معانيه وفي أطهر معانيه، الشعور الحسيني والإحساس الحسيني والوجدان الحسيني في نفوسٍ وفي قلوبٍ وفي ضمائرِ أشياع الحسين صلوات الله وسلامه عليه يمثل أعلى صور النقاء إذ ليسَ هناك من مطامع شخصية، ليس هناكَ من رغباتٍ مادية، ليس هناكَ من مطامح تطمح إليها النفوس لتحصيل بعضِ المطامع أو لتحقيق بعضِ الرغبات، إنّه إنفعالُ النفوس، إنّه إرتباطُ النفوس وعلاقة النفوس البشرية بالمعاني السامية التي تجلت في مثالٍ يقال له الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فحينما نقول الشعائر الحسينية المراد منها هذا المعنى المراد منها معنى تجلي العاطفة وتجلي الشعور وتجلي الإحساس في أنقى صورهِ وفي أنظفِ معانيه وفي أطهر دلالاتِه كلُّ ذلك بعيداً عن المطامع الشخصية وعن المصالح التي قد نصفها بالسياسيةِ أو الإجتماعيةِ أو الإقتصادية أو عَبّر عن أيّ نحوٍ من أنحاءِ هذه المصالح الدنيوية في حياة الإنسان المحدودة، لربما من أجمل المعاني التي نظمها الشعراءُ وهم يخاطبون الحسين صلوات الله وسلامه عليه:

تبكيك عيني لا لأجلِ مثوبَةٍ لكنّما عيني لأجلكَ باكية

طهارة الوجدان، طهارة العاطفة، وطهارة الشعور والإحساس، إنّه الإخلاصُ في الحُبّ، إنّه الإخلاصُ الكاملُ في العاطفة الإنسانية، كلُّ هذه المعاني إنّما تتوهجُ وتَتقدُ وتتجلى واضحةً في ما نُسميهِ بالشعائر الحُسينية، هذا هو المعنى العام والمعنى المُجمَل لهذا العنوان لهذا المصطلح: الشعائر الحسينية.

ما المرادُ من الشعائر الحسينية في البُعد العملي؟ الكلام كان قبل قليل في البُعد الإنساني المجرد، في البُعد المعنوي، ما المراد من الشعائر الحسينية في البُعد العملي؟ المراد من الشعائر الحسينية كلُّ الطقوس كلُّ الممارسات كلُّ الأعمال وكلُّ ما يأتي به الإنسانِ في طريق الحسين صلوات الله وسلامه عليه، هنا أشير إلى أهمِّ مصاديق الشعائر الحسينية:

أولاً: الزياراتُ الحسينية إن كانت من قريبٍ أو من بعيد، إن كانت بالنحو المخصوص في أوقات معينة في أزمنة معينة أم لم تكن بالنحو المخصوص وإنما بالنحو المطلق فهناك الزيارات المطلقة وهناك الزيارات المخصوصة، الزياراتُ الحسينية بكل أنحائها من قريبٍ أو من بعيد، مخصوصةً كانت أو مطلقة، بالأصالة أو بالنيابة، فزياراتُ الحسين تُستحَبُّ أن تكونَ بالأصالةِ وتُستَحَبُّ أيضاً أن تكون بالنيابةِ لمن لم يكن قادراً على أن يزور بنفسه.

ثانياً: المجالسُ الحُسينية بكل أنحائها وبكل أشكالها، وقد حَثّنا أهلُ البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على إقامة هذه المجالس وحَثّنا أهل البيت على السعي إليها وحَثّنا أهلُ البيت على الحفاظِ عليها وعلى المداومةِ عليها.

ثالثاً: البكاءُ والإبكاءُ على سيد الشهداء، وقد امتلأت كتب الحديث من كلمات النبي والمعصومين صلوات اللهِ وسلامه عليهم أجمعين تحثنا على ذكر الحسينِ وعلى البكاءِ على الحسين وتحثنا كذلك على الإبكاءِ على الحُسين، بل أنّ الحثَّ وصلَ إلى موضوع التباكي أيضاً.

رابعاً: كلُّ عملٍ وكلُّ أمرٍ يقودنا إلى فناء الحسين من إطعامٍ، أو من سقي ماءٍ، أو من تقديمِ أيّةِ معونةٍ، أو من الإقدامِ على أيّ فعلٍ يربطنا بالحسين صلوات الله وسلامه عليه إن كانَ في الجهةِ العلمية، في تأليف الكتب ونشر الفكر الحسيني، إن كان في التدريسِ والتبليغ وفي نظم الشعر وفي إنشاد الشعر وفي كلِّ ما يدور في هذه الدائرة ويقودنا إلى ذكر الحسين، عنوانٌ عام: **إحياءُ الأمر الحُسيني** كلُّ ما يقعُ تحت هذا العنوان إنّما هو في صميم الشعارات وفي صميم الشعائر الحُسينية.

عنوانٌ آخر من عناوين الشعائر الحُسينية وهي المسيرات الجماهيرية والمواكب الحسينية التي تصدع فيها شيعة أهل البيت عبر التأريخ وإلى يومنا هذا بكل أشكالها بكل ما فيها من مواكب اللطم والعزاءِ على الحسين، من مواكب الزنجيل والتطبير وغير ذلك من الأنحاء المختلفة للمواكب وللهيئات الحسينية التي يُذكر فيها سيد الشهداء وتكون موطناً للإحياء الجماهيري ولتجمّعِ أشياع أهل البيت ولرفعِ ذكرِ الحسينِ وآلِ الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا النحو من المسيراتِ ومن المواكبِ ومن الفعاليات ليس محدوداً بنحو من الأنحاء يتغير بتغير الزمان يتطور بتطور الأحوال والأوضاع التي يعيشها الناس.

هناك إذاً من الشعائر الحسينية ما هو مرسومٌ، رسمهُ لنا أهل البيت كالزيارات وهناك من الشعائر الحسينية ما يرجعُ إلى شيعة أهل البيت فالباب مفتوحٌ فيه فهذا يختلف فيه التعبير من زمانٍ إلى زمان ومن مكانٍ إلى مكان ومن مجموعةٍ بشريةٍ إلى مجموعةٍ بشريةٍ أخرى، كلُّ هذه الطقوس، كلُّ هذه المراسم هي التي نسميها بالشعائر الحسينية، وملَفُّنا هذا الذي بين أيدينا مَلَفُّ الشعائر الحُسينية إنّما هو يدور حول هذه الموضوعات يتناول الكلام في هذه المسائل وفي هذه المطالب، سيكونُ الكلامُ في هذا المَلَف في عدةِ جهات اليوم نحن في الحلقة الأولى وغداً ستأتينا الحلقة الثانية والحلقاتُ تأتي تِباعاً بحسب الجهات والموضوعات التي سأتناولها في هذا الملف.

موضوع هذه الحلقة: **الشعائرُ الحسينيةُ في الأفق الإنساني.**

وستأتينا حلقةٌ أخرى: **الشعائرُ الحسينية في الأفق الفقهي والفتوائي.**

وتأتينا حلقةٌ أخرى أيضاً: **الشعائر الحسينية في أفقِ ثقافة أهل البيت وفكرهم في أفق حديثهم الشريف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.**

وتأتينا حلقةٌ أخرى أيضاً: **الشعائر الحسينية في أفق شعارها المعروف يالثارات الحسين.**

إذاً سيكون الحديث في هذا الملف في مَلَفّ الشعائر الحسينية الحديثُ عن الشعائر الحسينية في الأفق الإنساني، ثمَّ في الأفق الفقهي والفتوائي ثمّ في أفق حديث أهل البيت صلوات الله عليهم، ثمّ في بيان معنى شعار المواكب الحسينية شعار الحُسينيين: يالثارات الحسين، وبذلك تكتملُ أوراقُ ملف الشعائر الحسينية، يأتيكم الكلام في هذه الحلقة وفي الحلقات الآتية إن شاء الله تعالى تباعاً في كل يوم.

حديثنا إذاً في هذه الحلقة: الشعائرُ الحسينية في الأفق الإنساني. حين يكون الحديثُ عن الأفق الإنساني ما المراد من الأفق الإنساني؟ وكيف يتشكّلُ الأفق الإنساني؟

يتشكّلُ الأفق الإنساني من بُعدين:

البُعد الأول: هو حضارة الإنسان

والبُعد الثاني: هو ثقافة الإنسان

ما بين الحضارةِ والثقافة يتشكّلُ الأفق الإنساني، حين أقول الأفق الإنساني هو نسبةٌ إلى الإنسان، الإنسانُ ذلك المخلوق الذي يملكُ القيَمَ التي تجعلُ منه كائناً له قيمة يتميز بها عن كثيرٍ من الكائنات الأخرى، الأفق الإنساني إنّما يتشكل من الحضارة ومن الثقافة، وقد يقول قائل بأن الثقافةَ هي مظهرٌ من مظاهر الحضارة والكلامُ صحيح لكنني أشيرُ هنا إلى حضارة الإنسان وإلى ثقافة الإنسان لأجل أن أصل إلى نقطةٍ معينة هذه النقطة ستتضحُ شيئاً فشيئاً من خلال الحديث.

فنحن هنا نريد أن نتحدّثَ عن الشعائر الحُسينية في الأفق الإنساني، في منظور حضارة الإنسان وفي منظور ثقافة الإنسان، الإنسانُ بما هو إنسان، حين يكون الكلامُ عن الحضارة ما المراد من الحضارة؟ أنا هنا لا أريد الحديثَ عن الحضارةِ بذلك النحو الذي يتحدّثُ بهِ الأكاديميون في بحوثهم، في دراساتهم، في رسائل الدكتوراه مثلاً وفي غيرها، ويبدأُ الحديثُ من المقارنةِ بين البداوةِ والحضارة أو الرجوع إلى كلمة civilization والرجوع إلى أصولها اللاتينية والدخول في هذه التفصيلات، وكذلك في موضوعة الثقافة وهل أنها في العربيةِ هي ترجمةٌ لكلمة culture وما تعودُ إليه من أصول لاتينية، لا أريدُ الخوض في هذه التفصيلات، **الحضارةُ: هي مجموعةُ قيمٍ يعتقد بها الإنسان،** أيضاً لا يذهبُ الاشتباه إلى تصور أنّ التقدم التقني التكنولوجيا هي الحضارة، التكنولوجيا هي مظهر من مظاهر الحضارة، الحضارةُ هي مجموع قيم يعيش بها الإنسان ويعيشُ عليها الإنسان، قيمةُ الإنسان هي هذه التي يُصطلح عليها الحضارة،

مجموعة قيم قيمة الحرية، قيمة الإبداع الإنساني، قيمة العدل، وقيمٌ أخرى بمجموعها تتشكلُ حقيقة الحضارة في حياة الإنسان بقدرِ ما تتجلى هذه القيم، بقدر ما تتجلى الحريةُ في حياة الناس إن كان بالنحو الفردي أو بالنحو المجتمعي، بقدرِ ما يكون هناك من الحرية، وبقدرِ ما يكون هناك من فهم لمعنى الحرية الإنسانية وليس الحرية الحيوانية، بقدرِ ما يكون هناك من وجودٍ لمقولة الحرية ولفهم معنى الحرية في حياة الإنسان وبقدرِ ما يكون في حياة الإنسان من الإبداع ومن بروز المواهب في أبعادها الأدبية في أبعادها الفنية وفي أبعادها الأخلاقية وفي سائر الأبعاد الأخرى التي يتناولها معنى الإبداع، بقدرِ ما يتجلى معنى العدل وحين أتحدثُ عن العدل هنا أتحدث عن العدل الإنساني بمعناه الوسيع الذي لا يرتبطُ في الأفق السياسي فقط أو في الأفق القضائي وإنما العدلُ في السيرة الإنسانية، العدلُ والتكاملُ في باطن الإنسان في سلوكهِ الأخلاقي، في سلوكهِ مع نفسه، وفي سلوكهِ مع غيره، هذه القيم قيمُ الحرية، قيمُ الإبداع، قيمُ العدل، وقيمٌ أخرى بمجموعها تُشكِّلُ معنى الحضارة، حينَ الحديث عن حضارة الإنسان إنما هو الحديثُ عن هذه القيم والحديثُ عن هذه المضامين والحديثُ عن هذه المعاني وفي ضوء هذه القيم وفي ضوء هذه المعاني تتشكل خطوط الحضارة الإنسانية ومن بين هذه القيم تنبثقُ معاني الثقافة.

فالثقافةُ ليست مظاهر والثقافةُ ليست مصطلحات، ربما يروقُ للبعض أن يُسمي المظاهر الخارجية ثقافة لكنَّ الثقافة ليست هي هذه المظاهر الخارجية، إذا كانت الثقافة هي المظاهر الخارجية فمظاهرنا سواء، وليست الثقافة هو ترديد المصطلحات وكثرة استعمال المصطلحات وكثرة استعمال القواعد أو الأصول أو القوانين العلمية، قد يُشكِّلُ هذا جزءاً من الثقافة لكن الثقافة ليست هي هذه، ولا الثقافة هي في اختيارِ نوعٍ من أنواع الأتكيت أو الستايل في حياة الناس في طعامهم أو في شرابهم أو في لباسهم، قد تُمثِّلُ هذه الأشياء انعكاسات لحقيقة الثقافة، الثقافة قيم و**الثقافةُ: هي قيمةٌ إنسانية تنشأُ من القناعات التي يؤمنُ بها الإنسان،** ومنشأ هذه القناعات إنما هو يتأتى من مجموعة معطيات من هذه المعطيات ما يواجههُ الإنسانُ في حياتهِ البشرية من المشاكل وما يجدهُ من الحلول، ما يواجههُ الإنسان في حياتهِ من الانفعالاتِ ومن التأثراتِ في شتى جوانب الحياة في جانب الفرحِ أو في جانب الحزن في جانبِ الخوفِ أو في جانب الأمن، كلُّ هذه المعطيات إذا ما توافقت وتناسقت في صورةٍ متكاملةٍ متسقةٍ ينتجُ منها العنوانُ الوسيع لثقافة الإنسان.

فالآدابُ والفنونُ التي تمثِّل المظهر الخارجي لثقافة الإنسان إنما تستندُ إلى هذه القاعدة التي أشرتُ إليها، الآدابُ على مر التأريخ والفنونُ على مر التأريخ وهما يمثلانِ الوجه الواضح لثقافة المجتمع ولثقافة الفرد إنما تستندُ الآداب والفنون إلى هذه القاعدة إلى أيّةِ قاعدة؟ إلى قاعدةِ قناعات الإنسان المفعمة بالمشاعر والأحاسيسِ والعواطف في أفراحهِ وفي أتراحه، فيما يُسرّه وفيما يُحزِنُه، فيما يُخيفُهُ وفيما يُؤمنُه، فيما يبعثُ

على إضطرابهِ وفيما يبعثُ على اطمئنانه، الحياة البشرية إنما هي صورةٌ تتقلب بين أمنٍ وخوف، بين اضطرابٍ وأمان وحين أتحدثُ عن أمنٍ وخوف ليس المراد هنا الحديث عن الأمن من السلطان الظالمِ أو عن الخوف من السلطان الظالمِ أو من الحيوانات الكاسرة، إنّهُ الخوفُ من الوجود، الخوف الذي يعمُّ النفس البشرية، هناك خوفٌ يسيطر على النفس البشرية، وهناك أمنٌ يسيطر على النفس البشرية، وهناك أملٌ، وهناك يأسٌ، وليس هذه المعاني كلها مرتبطة بما حول الإنسانِ من علاقاتٍ بسائر بني البشر، قد يكون لعلاقات الإنسان بسائر بني البشر شيءٌ من التأثيرِ في هذا الجانب لكنني هنا أتحدث بنحوٍ عام، أتحدّثُ عن الطبيعة البشرية حيثُ تتقلبُ النفس البشرية بين الأملِ واليأس وبين الطمع والرجاء وبين الخوف والأمن وبين الفرح والحزن وبينَ وبين، كلُّ هذه الأمور بمجموعها التي تُشكِّلُ القاعدة الأساسية التي تتفرع عليها الآداب والفنون وتتفرع عليها ثقافة الإنسان.

فحينَ الحديثُ عن الأفق الإنساني هنا، الحديث عن حضارة الإنسان والحديث عن ثقافة الإنسان حيثُ يتشكّلُ الأفق الإنساني، إذا ما تشكّلَ الأفق الإنساني تتشكل القيم ووفقاً لهذه القيم يمكننا أن نحكم على هذه الظاهرة أو على تلك الظاهرة في حياة الإنسان، ولذلك أنا قلت في أول حديثي بأنني سأتحدث في هذه الحلقة عن الشعائر الحسينية في الأفق الإنساني، الشعائر الحسينية في الأفق الإنساني تمثل انعكاساً لظاهرة الإنفعال بالحزن، لظاهرة الإنفعال بالمصيبة، لظاهرة الإنفعال بما جرى على مثال، هذا المثال أصحابُ الشعائر الحسينية يعتقدون فيه المثلَ الأعلى، ما جرى على الحسينِ وآل الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو هذا الأساس وهو هذا المركز الذي تبدأُ منه وتنطلقُ منه حقيقةُ الشعائر الحسينية، حين أقول إن الأفق الإنساني يتشكل ما بين حضارة الإنسان وما بين ثقافة الإنسان، ماذا ينتج من ذلك؟ ينتج من ذلك هوية الإنسان، هوية الإنسان، هوية المجتمع، هوية الأُمّة كيف تتشكل؟

تتشكل في هذا الأفق، في أفق الحضارةِ، وفي أفق الثقافة، وهوية الأمم وهوية المجتمعات وهوية الإنسان هي التي تحافظُ على ما يسبب الثبات في حياة هذه الأمم وما يسبب الثبات في حياة هذه المجتمعات، هوية الإنسان كما قلتُ قبل قليل حين تحدثتُ عن الثقافة ليست بالمظاهر الخارجية وليست باستعمال المصطلحات، هوية الإنسان في القيمة التي تدور حياتُه حولها، لذلك نحن نعتقدُ بأن الشعائر الحسينية هي جزءٌ أساسيٌ من هويتنا، جزءٌ أساسيٌ من هوية المجتمع الشيعي، وكلُّ أمَّة لها هوية، وكلُّ مجتمع له هوية، وهويات الأمم هويات المجتمعات أمورٌ يلزم الذوق الإنساني ويُلزِمنا الذوقُ الإنساني بأن نحترمها، نحنُ حين نتحدث عن الحضارات وحين نتحدثُ عن حضارة الإنسان، وحين نتحدث عن عصرنا الحاضر لنجد واضحاً أن هناك صراعاً فكرياً بين كل الحضارات حتى بين الاتجاهات الغربية لأي شيءٍ؟

للحفاظ على الهوية، بعيداً عن الوضع السياسي نحن الآن حتى لو أردنا أن نسبر الأوضاع في المجتمع

الغربي في المجتمع الأوربي مثلاً، في المجتمع الغربي في المجتمع الأوربي لا أقول في الأفق السياسي ولا أقول في الأفق الاقتصادي وإنما إذا أردنا أن نبحثَ في الأفق الثقافي للمجتمعات الأوربية نجد أن هناك احتذاماً واضحاً بين الإنجلوسكسونية وبين الفرانكفونية وهذا واضح لمن أراد أن يتتبع ما يجري في المشهد الثقافي، ما يجري في المشهد الثقافي وفي كواليس المشهد الثقافي في المجتمع الأوربي هناك صراع واضح بين التوجّه الإنكلوسكسوني وبين التوجّه الفرانكفوني وسبب هذا هو الحفاظ على الهويات فيما بين التوجه الأول وفيما بين التوجه الثاني، وحتى على مستوى العولمة والأمركة في بعدها الإقتصادي في بعُدها الثقافي نجد أن احتذاماً في المجتمع الفرنسي مثلاً في الوسط الثقافي الفرنسي مثلاً هناك احتذامٌ واضح في مواجهة العولمة، في مواجهة الأمركة كل ذلك دفاعاً عن الهوية، حتى في داخل الولايات المتحدة الأمريكية هناك أزمةٌ كبيرة هي أزمة الهوية الأمريكية والتي حاول المفكرون الأمريكيون أن يجعلوا لها حلاً في الحُلم الأمريكي، الحلم الأمريكي في حال الرخاء ربما يُشكِّلُ هويّةً للثقافة الأمريكية ولكن إذا لم يكن هناك رخاء وكانت هناك الأزمات فإنّ الحلم الأمريكي لن يُشكِّل هوية لذلك الثقافة الأمريكية تبحثُ دائماً عن المضاد وهذه قضية معروفة في التأريخ العسكري وفي التأريخ السياسي الأمريكي، لأي شيءٍ؟

لأن الهوية هي العامل الأساس التي تحفظُ كيان الأُمَّة، حتى لو كانت الأُمَّة في غاية التقدم التقني، في غاية التقدم الاقتصادي في غاية التقدم العسكري، في غاية التقدم العلمي فإنها بحاجة إلى هوية، الهويةُ هي التي تحفظ كيان الأمم، والهوية هي التي تحفظُ كيان الشخص، بمثالٍ مبسّط الإنسان الذي يحمل بطاقة الهوية في هذه البطاقة توضع صورتهُ يوضع أسمه، نَسَبُهُ، تأريخُ ميلادِهِ، مهنتهُ إلى غير ذلك من التفاصيل التي بمجموعها تُشَكِّلُ شخصية ذلك الإنسان لو جاء شخص وحاول أن يُزوّرَ هذه الهوية أو أن يُتلِفَ بعضاً منها كأن يُتلِفَ الصورة أو يُتلِفَ بعضاً من المعلومات هل تبقى هذه الهوية هويةً صحيحة؟

لن تبقى هويةً صحيحة، الأمم تحافظُ على كيانِها الداخلي بالحفاظ على هويتها وهذه قضية في غاية الأهمية ربما الذي يعيش في الدول المتقدّمة بسبب الرخاء في العيش ولأن الإنسان دائماً يتعامل مع الأمور المحسوسة ومع الأمور الظاهرة له من أول نظرة من دون التوغل في باطن المجتمعات وفي باطن الأمم وفي باطن الأشياء فإنه قد لا يستشعرُ أهمية هذا الأمر لكن أولئك الذين يغوصون في باطن حياة الأمم وفي عمق تأريخها ويبحثون عن نقاط القوةِ وعن نقاط الضعف يعرفون معنى أهمية الهوية، الأُمَّةُ تقوم بهويتها، كيانُ الأُمَّة الحضاري، كيانُ الأُمَّة الثقافي، كيانُ الأُمَّة العقائدي، وحتى البُنية النفسية للأُمَّة معتمدة على هويتها، لذلك نحن لا نستغرب حتى في داخل دول الاتحاد الأوربي في بعض الأحيان يحتدم الخلاف في اجتماعات دول الاتحاد الأوربي لقضايا جزئية لأن الدولة الفلانية تتصور أو تعتقد بأن هذا الأمر هو جزءٌ من هويتها الشعبية مثلاً.

قبل سنوات وسائل الإعلام كانت تتحدث عن خلافٍ إيطالي في مسألةٍ أنا لا أريد الإشارة إليها، حينما بدأت الدول الأوربية توحد خصائص صناعاتها وتضع استاندر معين للمصنوعات وللمطعومات وللأدوية وللأجهزة ولكفاءة ما يُصنع في داخل دول الاتحاد الأوربي، وكان هناك نقاش طويل في الصحافة الأوربية حول بعض المقاسات لبعض الصناعات التي تتعلق بالحياة الجنسية للناس وكان هناك اختلاف واضح لبعض الدول مثل إيطاليا وتحدثت الصحف كثيراً، مقصودي أن قضايا جزئية في بعض الأحيان تؤدي إلى خلافٍ وإلى احتذام في النقاش قد يكون طويلاً بعض الشيء لاعتقاد هذه الدولة أو تلك المجموعة بأن هذا الشيء له عُلقة بهويتها له عُلقة بثقافتها التي تُشَكِّلُ الهوية القوية والدعامة القوية لبناء ذلك المجتمع.

ومن هنا أقول بأن الشعائر الحسينية هي جزءٌ من هوية المجتمع الشيعي، لذلك أنا قلت بأنني في هذه الحلقة أتناول هذا الموضوع: الشعائر الحسينية في الأفق الإنساني، بعيداً عن الأفق الفقهي، بعيداً عن الأفق الحديثي والذي سيأتينا تِباعاً في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى.

الشعائر الحسينية هي جزءٌ من هويتنا، قبل قليل تحدثتُ عن الأفق الإنساني في الحضارةِ وفي الثقافة وكان الحديثُ عن القيم وكان الحديثُ عن القناعات وكان الحديثُ عن المشاعر، حينما نعكسُ هذه المعاني على المجتمع الشيعي على الأُمَّة الشيعية الموالية لِحُسينٍ وآلِ حُسين، أينَ تقعُ الشعائرُ الحُسينية؟

تقعُ الشعائر الحسينية في المركزِ من دائرةِ القيم الشيعية، تقعُ الشعائرُ الحسينية في النقطة الأعلى حينما يكون الحديث عن المشاعر وعن العواطفِ وعن الأحاسيس في المجتمع الشيعي، الأُمَّةُ الشيعية عبر تأريخها إذا أردنا أن نبحثَ عن العاطفة الحسينية منذُ اليوم الذي سقط فيه أبو عبدالله على رمال كربلاء وإلى يومنا هذا نجد أنّ العاطفة الحُسينية تجري في سواقي حياة هذه الأُمَّة وما مرّ يومٌ في تأريخ هذه الأُمَّة وقد نضبت تلك السواقي نعم ربما قسى الظالمون فاختفت المظاهر الخارجية من الشارع ومن الساحات العامة لكن العاطفة الحسينية بقيت جيّاشة وما ضَعُفت هذه العاطفة وما هدأت هذه العاطفة عِبر تأريخ الأُمَّة الشيعية والأسبابُ كثيرة تتضحُ هذه الأسباب من خلال التنقل ما بين المعاني الإنسانية للشعائر الحسينية وما بين المعاني الفقهية وما بين ما قاله أهل البيت والحديث عن سائر المضامين الأخرى التي ترتبطُ بهذا الموضوع الذي بين أيدينا.

هذه الخلاصة يمكن أن تتجلى وأن تتضح إذا ما أكملنا الحديث في أوراق هذا الملف ملفُّ الشعائر الحسينية، ولكنني أبقى عند هذه النقطة في هذه الحلقة وهو أن الشعائر الحسينية إنما هي قيمةٌ إنسانيةٌ في ضمير الأُمَّة الشيعية، ومن هنا يلزمنا أولاً نحنُ أن نحترم هذه الشعائر وكذلك الآخرون يلزمهم أن يحترموا هذه الشعائر، وإن لم يقتنعوا بها لأن هذه الشعائر هي جزءٌ من هوية أُمَّة، كما نحترم هويات الأمم الأخرى على الآخرين أن يحترموا هويتنا وإذا كان الآخرون لا يحترمون هويتنا فإننا لا نحترم هويتهم أيضاً،

نحن هنا نتحدث عن الإنسان بما هو إنسان، الإنسان بما هو إنسان له قيَم، والإنسان بما هو إنسان يحترمُ القيم الإنسانية، بنحوٍ عام كلُّ مجتمعٍ من المجتمعات البشرية يمتلكُ نحواً من الطقوس، يمتلكُ نحواً من القيم، نحواً من المبادئ، بالجملةِ الناسُ يحترمُ بعضهم بعضاً في هذا الإطار وفي هذا الاتجاه.

شعائرنا الحُسينية إنما هي قيمٌ وإنما هي عواطف ومشاعر وطقوس نحن توارثناها ونحنُ اتفقنا عليها ونحن اعتقدنا بها وأدلُّ دليلٍ على ذلك المشاركة الجماهيرية والمليونية، مشاركة الملايين في هذه الشعائر ربما يشذُ البعض من شيعة أهل البيت فيقفُ موقفاً سلبياً من الشعائر الحُسينية وهذا لا يُشكِّلُ شيئاً، هوية الأُمَّة لا يعكسها شخصٌ واحد له ذوقٌ معين يشذُ فيه شذوذاً نشازاً عن أبناء أُمّتِه هذه الملايينُ من البشر وهذه الجموع الهادرة وفي مختلف أصناف الأُمَّة ما بين علماء الدين، ما بين الشعراء، الأُدباء، المثقفون، النساء، الرجال، الصغار، الكبار، كلُّ أصناف الأُمَّة أصحاب الحِرف، أصحابُ الفنون، أصحابُ المواهب، أنتَ إذا ما أردت أن تدخل في أوساط المسيرات الحُسينية، المسيرات الراجلة للزيارة، المسيرات التي تخرجُ للمشاركة في مراسم الحسين عليه السلام، مواكب العزاء بكل أشكالها وألوانها وأنحائها، الحسينيات في كل مكان، التكايا وهيئات العزاء ومواكبُ العزاء بكل أشكالها كلُّ ذلك يكشفُ عن الظاهرة المليونية بل أكثر من الظاهرة المليونية، والقضية لا توجد حكومة تدعمها ولا جهات سياسية، إندفاعٌ شعبي، هذا الإندفاع الشعبي وهذا الإندفاعُ الجماهيري هو هذا الذي يُشكِّلُ الهوية الحقيقية للأُمَّة.

الهوية الحقيقية لا يُشكّلها حزبٌ من الأحزاب يشتملُ على عدد معين من الناس له طموحات سياسية معينة له برنامج سياسي معين، أفرادهُ لا يُشكّلون حتى بنسبة واحد بالمئة من أبناء الأُمَّة، هوية التشيع لا تُشكّلها جمعية معينة أو منتدى ثقافي معين، لا تشكلها مجموعة لها ذوقٌ معين، لا يُشكّلها شخصٌ يُعجبهُ طراز معين من التفكير، هوية الأُمَّة تُشكّلها هذه الملايين، العشرات من الملايين، في كل مدينةٍ، في كل زُقاقٍ، في كل قريةٍ، في كل صقعٍ من أصقاع المجتمع الشيعي بل في كل مكانٍ في العالم يتواجد فيه شيعة أهل البيت تجد الحسين منتصباً واقفاً وتجد المواكب الحسينية هادرةً في كل مكان، حتى لو كانت عائلة شيعية في زاوية بعيدة من زوايا هذا العالم بعد أن تشرّد الشيعة في كل مكان فإنّك إذا ما مررت على هذه العائلة في أيام المحرم تجسس على هذه العائلة، أنصت، قرّب أُذنيك من باب بيتها من باب دارها ستسمعُ صوت الحسين.

هذه هي الهويةُ التي أتحدث عنها، وهذا هو الاحترامُ الذي يجب أن يُوجه إلى هذه الشعائر، إنه احترامٌ للملايين، احترامٌ لهذه المشاعر الإنسانية الطاهرة، أيُّ مشاعر؟ هل هي مشاعر تقود الإنسان إلى الشبق الجنسي مثلاً؟ وحتى هذه المشاعر هي مشاعرٌ إنسانية يجب أن تُحترم، ولكن أقول هل هذه المشاعر تقود الإنسان إلى الشبق الجنسي الشاذ أو المنحرف؟ هل هي مشاعر تقود الإنسان إلى الخساسة والنذالة؟

مشاعر تدفعُ الإنسان للحرية وللإباءِ وللكرامة، مشاعر الحسين هذه الأحاسيس وهذه العواطف عواطف وأحاسيس تهيجُ في وسط هذه الأُمَّة وفي قلوب أبناء هذه الأُمَّة تدفعها لأي شيءٍ؟

تدفعها للتعلق بمثال الحرية والكرامة، بمثال الوفاء والإخلاص والنزاهة، بمثال الإنسانية الذي تجلى في حُسينٍ وآل حُسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ملايين من البشر ومشاعر لا يمكن أن توصف بالألفاظ، مشاعر ما بين الفخرِ والكرامةِ والاعتزاز وما بين الألم الذي يعتصر القلوب للذي جرى من هتكٍ لكل معاني الإنسانية على أراضي كربلاء، هذه هي شعائرنا الحسينية في أفقها الإنساني، إنها هوية أُمَّة، إنها شعارُ الملايين، إنها عواطفُ مقدّسة، من هنا تتشكّلُ هوية المجتمع الشيعي، أفراد قلائل، مجموعات قلائل، شخصٌ يتلبّس بلباس الدين، عالِمٌ من العلماء، مفكرٌ من المفكرين، له رأيٌ يشذُ به عن الأُمَّة ما قيمةُ هذا الرأي؟! رأيهُ له هو حرٌ بما يعتقد، أمّا هذه الملايين، عشرات الملايين في كل صقعٍ من أصقاع العالم كلهم بقلوبهم، بعقولهم، بأموالهم، بأبدانهم، بمواهبهم، بكل ما يمتلكون، بكل قناعاتهم، كلُّ هذه القناعات البشرية هي هذه التي تُشكّلُ الهوية، حين أقول بأن الشعائر الحسينية جزءٌ من هويتنا بل هي هويتنا بوجهٍ من الوجوه، الشعائر الحسينية جزءٌ أساس من هوية المجتمع الشيعي، وهذه الملايين من البشر تتفاعل معها بكل صدقٍ وإخلاص، ماذا تقول الإنسانية عن ذلك؟

ألا تقول الإنسانيةُ بأن هذه الشعائر يجب أن تُحترم، هناك جزءٌ كبير من الإنسانية يرى أن هويتهُ في هذه الشعائر وهناك جزءٌ كبير من هذه الإنسانية يتعامل مع هذه الشعائر بصدق وبإخلاص من دون رياء ومن دون انخداع بوسائل الإعلام ومن دون أن تكون هناك جهات مُغرضة تدفعهُ باتجاه هذه الشعائر، سل الشيعة في كل مكان هل هناك من أحدٍ يدفعهم إلى ذلك سوى الصدق؟ هناك صدق، الصدق الإنساني له قيمة بغض النظر عن الفكرة الدينية وعن الاتجاه الديني، الصدق الإنساني والإخلاصُ الإنساني له قيمة هذه مبادئ وقيم إنسانية بعيداً عن الدين وبعيداً عن الأيديولوجيا وبعيداً عن كل الأفكار والفلسفات، الصدقُ الإنساني قيمة عالية، والإخلاصُ الإنساني قيمة عالية، الصدق والإخلاص مردّهما إلى النقاء الإنساني والنقاء الإنساني قيمة عالية جداً، أرقى القيم الحضارية وأرقى القيم الثقافية هو النقاءُ الإنساني، النقاء الإنساني لو توفر لعاشت البشريةُ أسعد حالاتها، أليست البشرية تبحث عن السعادة؟ كيف تصل إلى السعادة من دون النقاء؟!

النقاءُ الإنساني أعظم القيم البشرية ومن هذا النقاء الإنساني يتولّدُ الصدقُ الإنساني، هذا الصدق الذي يتجلى في صدق المشاعر، في صدق العواطف، في صدق الفرحِ وفي صدق الحزن، في صدق الأخوة وفي صدق الرحمة، وكل هذه المعاني تتجلى في الشعائر الحسينية، تتجلى في الشعائر الحسينية في أصل وجودها، أصل وجود الشعائر الحسينية جاء من الصدق والإخلاص، وتتجلى أيضاً في الحالة النفسية والعملية التي

يعيشها أولئك الذين يشاركون في هذه الشعائر، هذه الملايين التي تخرجُ لزيارة الحسين أذهبوا وعيشوا فيما بينهم لتجدوا أن كثيراً من معاني الرحمة والتعاطف والتواد تظهرُ فيما بينهم وهم يُصرِّحون بذلك هم يشعرون بأنّ هذه الشعائر وبأن موسم الشعائر ما إن ينتهي ويعود الناس إلى طبيعة حياتهم اليومية إلا وهم يعودون إلى مشاكل الحياة وإلى لغط الحياة وإلى الصراع الإنساني اليومي، فإنهم يجدون في أيام هذه الشعائر وفي ممارسة هذه الشعائر يجدون معاني الرحمة ومعاني الرأفة الإنسانية ومعاني التعاطف ومعاني التواد، وما ذلك إلا لأن هذه الشعائر كما قلتُ في أول حديثي هي نقاط ومحطات يتركز فيها الشعور الإنساني، يتجذّرُ فيها الشعور الإنساني، يتعمّقُ فيها الإحساس الإنساني.

فهذه شعائرنا الحُسينية، شعائرنا الحسينية في الأفق الإنساني هي هويتنا، بعيداً عن الفكر الديني وبعيداً عن الفكر العقائدي، نحنُ بشر، نحن بنو الإنسان، نحن شيعة أهل البيت نعيشُ في هذا المجتمع الإنساني، وحينما تمر علينا أيام الحسين تتجلى لنا هذه المحطات، تتركز فيها معاني هذا الشعور ومعاني هذا الإحساس الذي يشدنا إلى مثال الإنسانية بعيداً عن النسب الديني وبعيداً عن الفكر الديني، لنتناول الشعائر الحسينية في أفقها الإنساني، في الأفق الإنساني شعائرنا الحسينية هي هويتنا الإنسانية، وهويتنا الإنسانية تلك الصورة التي تتجلى فيها معاني العاطفة النبيلة ومعاني النقاء الإنساني ومعاني الحزن والرحمة والتي تتجلى في تلكم الدموع التي تندفقُ من العيون، هذه الدموع حقيقة إنسانية ليست طقساً دينياً، بعيداً عن الطقس الديني الدموع حقيقة إنسانية، ظاهرة إنسانية، وأقرب ما يكون هذا الإنسان فيه إلى الله حين ينكسر قلبُ الإنسان، وأجلى صورة لانكسار القلب البشري حين تتدفق العبرات تتدفق الدموع من العيون، الإنسانُ كما هو محتاجٌ إلى الضحك ومحتاجٌ إلى الفرح بطبيعتهِ البشرية هو محتاجٌ إلى الحزن وإلى الدموع، مثلما أن الإنسان يدفعهُ الإحساس بالجوع لأي شيءٍ؟ لتناول الطعام لأن في ذلك ما يعود عليه بالصالحِ وبالمفيد، ومثلما يدفعهُ الإحساسُ بالعطش كي يشرب لِما في ذلك من منفعةٍ له، الإنسانُ أيضاً حين يصيبهُ الانكسار يحتاجُ إلى الدموع يحتاجُ إلى البكاء.

هذه حاجاتُ الإنسان وهذه طبيعةُ البشر، أينُ نوظِّفُ هذه الدموع؟ مثلما الإنسان إحساسهُ بالجوع يدفعه كي ينال شيئاً من الطعام يمكن للإنسان أن ينال شيئاً مُضراً ويمكن للإنسان أن ينال شيئاً مفيداً يكونُ دواءاً له وليس داءاً، الطعامُ في بعض الأحيان يكونُ داءاً وفي بعض الأحيان يكون دواءاً، والشراب كذلك، والنوم كذلك حينما يستشعر الإنسان النعاس ويذهب إلى النوم في بعض الأحيان يكون النومُ داءاً وفي بعض الأحيان يكون النوم دواءاً، هذه الدموع التي يدفقها الإنسان من عينيه متى تكون في غاية حُسنها؟ حينما تكون هذه الدموع موظفة في الطريق الذي يريدهُ الله سبحانه وتعالى، أليس كل العيون يوم القيامة باكية، أنا لا أريد هنا أن أشير إلى الأحاديث سيأتي الكلامُ عن حديث أهل البيت ولكن هذه حقيقة،

كل العيون يوم القيامة باكية، من يعرف يوم القيامة وما سيجري في يوم القيامة من الطبيعي أن العيون ستبكي، ولكن هناك عيونٌ لا تبكي ولن تبكي في يوم القيامة عينٌ بكت خوفاً من الله، خشيةً من الله، وعينٌ بكت على الحسين، العيون التي تبكي على الحسين عيونٌ لن تبكي يوم القيامة، هذه الدموع وهذه العبرات التي هي حاجةٌ بشرية لنوظف هذه الدموع في أعلى غاية من الغايات وأعلى غاية من الغايات البُكاء على الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهذا سيتضح لنا في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى حين يصل الحديث إلى ثقافة أهل البيت، إلى فكر أهل البيت، إلى حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سيتضح لنا معنى السمو ومعنى العلو ومعنى الرقي في الدموع التي تنزل على الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ولكنني أعودُ فأقول بأن الشعائر الحسينية هي جزءٌ من هويتنا الإنسانية، بكاءنا، دموعنا يمثل جزءاً من الهوية الإنسانية لكننا نوظفه أحسن توظيف، نحن بشر نملك عاطفة الحزن ونملك عاطفة الفرح، نحن بشر تنكسر منا القلوب وتدمعُ منا العيون ولكن على من؟ نحنُ بشر نملكُ قيم الحضارة ونملكُ قيم الثقافة، الثقافةُ هي في عظيم ما نملكُ من قيم، من قيم الحرية التي دعا لها أبو عبد الله حين يقول: **ألاَ حُرٌ يَدَعُ هَذهِ اللُمَاظَة**، اللماظة في لغة العرب هي فتات وبقايا الطعام الذي يبقى بين الأسنان وإذا ما بقي بين الأسنان سيفسد هذا الطعام وستخبث رائحتهُ كما تعرفون – **ألاَ حُرٌ يَدَعُ هَذهِ اللُمَاظَة** – اللماظة يُشير بها سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه إلى الواقع الإنساني في العالم الدنيوي، هذه اللماظة إلى الطبيعة الترابية الموجودة في الحياة البشرية – **ألاَ حُرٌ يَدَعُ هَذهِ اللُمَاظَة** – وإنما يَدعُ الأحرارُ هذه اللماظة متى؟ متى ما تمسكوا بعروة الحسين صلوات الله وسلامه عليه، الشعائر الحسينيةُ هي هويتنا والشعائر الحسينيةُ هي جزءٌ من ثقافتنا، ثقافتنا التي تمتدُ خيوطها إلى الحرية الحسينية – **ألاَ حُرٌ يَدَعُ هَذهِ اللُمَاظَة** – ثقافتنا الحسينيةُ التي شخَّصَ لنا أبو عبد الله فيها الحدود الواضحة للهوية الحسينية مَن كانَ مِثلي لا يُبَايعُ مِثلَه، من كان مثلي يشيرُ إلى نفسهِ المقدّسة، لا يبايعُ مثله يشيرُ إلى يزيد بن معاوية، هناك هويتان: هناك الهوية الحسينية، وهناك الهوية اليزيدية.

هناك هويتان: هويةُ الحسين وهوية يزيد، فمن أراد أن يحمل هذه الهوية جزءٌ من هذه الهوية الشعائر الحسينية، هناك الحسين بكل طُهرهِ، وهناك يزيد بكل عِهرهِ، هناك هويتان: هناك الحسين النور الذي تَنَقّلَ في الأصلاب الشامخة وما نجستهُ الجاهلية وما دنستهُ بأنجاسها وأدناسها ولا ألبستهُ المدلهمات من ثيابها، وهناك يزيد، يزيد بن حمامة، حمامة جدةُ أبي سفيان والتأريخ معروفٌ لا أريد أن أقفَ عند هذه العناوين، هناك نورٌ وهناك حُثالة، هناك حُسينٌ وهناك يزيد، رواية وسآتي على ذكرها أيضاً إن شاء الله في

الحلقة الأخيرة، رواية من كتب القوم رواها علاّمة الأحناف الحافظ الحسكاني في كتابهِ شواهد التنزيل في الجزء الأول رواية قصيرة لكن الرواية تحدثنا عن الهويتين، الرواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه ماذا يقول جابر؟

جابر يقول: بعد واقعة الحرّة، واقعة الحرّة معروفة يزيد أرسل جيوشهُ وأباح لهم المدينة ولَمَّا وصلت جيوش يزيد إلى المدينة المنورة، هذا بعد مقتل سيد الشهداء بعد ثورة أهل المدينة حين أعلن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة بيانه، وقال بأن يزيد يزني بأمهِ وبناته وأخواته ونحن نخاف أن نُرمى بالحجر من السماء أن ينزل علينا العذاب إذا لم نثُر في وجههِ، فيزيد هو ذلك الزاني بأمهاتهِ وبناتهِ وأخواته، وهذا مثبتٌ في كتب القوم ومعروف، فأرسل يزيد جيشهُ إلى المدينة واستباح المدينة أعطاهم إذناً بالاعتداء على كل نساء المدينة، أخرجوا بنات المهاجرين والأنصار واغتصبوا بنات المهاجرين والأنصار، أعداد كثيرة، أعداد مهولة الأرقام التي ذكرها المؤرخون.

جابر بن عبد الله الأنصاري ماذا يقول؟ الرواية كما قلت في كتب القوم شواهد التنزيل الجزء الأول في سورة الإسراء للحافظ الحسكاني من علماء الأحناف، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ماذا يقول؟ يقول: كُنا نبور أولادنا في واقعة الحرّة – وفي نسخةٍ بعد واقعة الحرة – كنا نبور أولادنا – نبور ماذا تعني هذه الكلمة؟ راجعوا كتب اللغة نبور تعني: نختبر نمتحن، يقول: كُنا نبور أولادنا بعد واقعة الحرّة بحب عليّ بن أبي طالب – هذه هي الهوية التي نحنُ نتحدث عنها، هذا الحديث حديث القوم وهذا الكتاب من كتب القوم، كنا نبور، وإني يا أمير المؤمنين وحقِّ ترابٍ داستهُ حفيدتك رقية بقدمها الصغيرة الناعمة الحافية لا أريد أن أذكر أسمك إلى جنب هذه الحثالات، لكنه الحديث هو الذي جرّ الحديث، والرواية من كتب القوم، يؤلمني وأنا أتذكرُ ما تقوله في خطبتكَ الشقشقية يا سيد الأوصياء وإن ذلك يؤلمُ كل شيعيٍ وأنت تقول: **مَتى أعتَرضَ الريبُ فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرنُ إلى هذه النظائر**.

جابر يقول جابر بن عبد الله الأنصاري: كُنا نبور أولادنا بعد واقعة الحرة بحب عليّ بن أبي طالب فمن أحبَّهُ – ينتظرون الأمير على الطريق وموجود هذا في روايات عديدة ومصادر كثيرة يقولون له تحب هذا؟ فمن أحبَّهُ علمنا أنه من أولادنا لأنه عدة ألاف من بنات المدينة هُتكت أعراضهن على يد الجيش اليزيدي، الجيش الأموي بأمرٍ من خليفة المسلمين – كُنا نبور أولادنا بعد واقعة الحرة بحب عليّ بن أبي طالب – حينما أقول بحب عليّ بن أبي طالب أنا ذكرت قبل قليل قلت: بأنهم يُخرجون أولادهم إلى الشارع ليس في واقعة الحرّة وإنما هذه روايات موجودة في زمان النبي وإلا واقعة الحرة حدثت بعد مقتل الحسين عليه السلام إنما أنا أشرت لئلا يحدث اشتباه في التصور، هناك روايات أن الصحابة كانوا أهل المدينة يُخرجون أولادهم إلى الشارع، يقولون: تحبون هذا، حينما يمر عليّ بن أبي طالب تُحبون هذا؟ إذا قالوا: نعم،

علِموا بأنهم من أولادهم، عرفنا كما في روايات – عرفنا أنهم لرشده – في أسنى المطالب وغير أسنى المطالب للجزري الشافعي ومصادر أخرى عديدة نأتي على ذكرها في وقتها – عرفنا أنه لرشده – إذا قال الغلام إني أحبُّ هذا يشيرُ إلى عليٍّ يعرفون إنه لرشده أي لحلال إنه من أبناء الحلال، وإذا قال غير ذلك فالأمر معروف، جابر هنا يقول: كنا نبور أولادنا نسألهم تحبون علياً فإن أحبوا علياً علمنا أنهم من أولادنا وإن لم يُحبّوه، هو جابر يقول: أشفينا منهم – أي تبرأنا منهم، فهم ليس من أولادنا، هؤلاء من أولاد الجيش القادم من الشام، هذه الروايات في كتب القوم وليست في كتبنا، هذه الرواية تحدد معالم الهوية.

هناك الهوية الحسينية وهناك هوية أخرى، الشعائر الحسينية هذا هو الطابع الرسمي للهوية الحسينية أيها الباحثون أنتم من تريدون أن تستخرجوا الهوية الحسينية هذه الهوية تحتاج إلى طابع تحتاج إلى ختم رسمي الطابع الرسمي والختم الرسمي هو هذه الشعائر، الشعائر الحسينية جزءٌ من هويتنا، يلزمنا أولاً أن نحترمها نحنُ حتى نفرض على الآخرين أن يحترموا هذه الشعائر، هذه قضية إنسانية بعيداً عن الفكر الديني وبعيداً عن الفكر العقائدي، كلُّ الأمم كلُّ الشعوب عندها طقوس وعندها مشاعر وعندها شعارات وكلُّ الأمم تحترم شعاراتها وتحترم مشاعرها ومناسكها بعيداً عن الجو الديني سواء كانت القضية دينية أو غير دينية، كلُّ الأمم عندها مهرجانات وكرنفالات ومسيرات ومراسم ومواسم ومناسك وقل ما شئت من العبارات، والبشريةُ بنحوٍ عام تحترم هذه المراسم والمناسك، نحن أيضاً يجب علينا أن نحترم شعائرنا هذه وأن نفرض على الآخرين أن يحترموا هذه الشعائر نفرض عليهم قطعاً ليس بالقوة وإنما أن نفرض عليهم باحترامنا لشعائرنا ولبيان حقيقة هذه الشعائر والمشاعر والمراسم والمناسك ليعرف الناس نحنُ ماذا نقصد وماذا نريد ولماذا نُقيم هذه الشعائر.

خلاصة الكلام شعائرنا الحسينية هي إرادةُ أُمَّة، إرادةُ جماهير هذه الأُمَّة، وأول شيءٍ يجبُ على الساسة، على العلماء، على المفكرين أن يحترموا إرادة هذه الأُمَّة وعلى الأمم الأخرى التي تجاورنا يجب عليها أن تحترم إرادة هذه الأُمَّة، هذه الشعائر الحسينية إرادة أُمَّة، هذه إرادة الجماهير والملايين، يجبُ على ساسة هذه الأُمَّة وعلى علماء هذه الأُمَّة وعلى رجالات هذه الأُمَّة أن يحترموا إرادة هذه الأُمَّة، وكذلك الأمم المجاورة لنا، كما أننا يجب علينا أن نحترم إرادة الأمم المجاورة لنا على الأمم المجاورة لنا أن تحترم إرادتنا أن تحترم إرادة هذه الجماهير، أنا أسأل سؤال، الآن الساسة في العراق وفي كل مكان في أي دولة من الدول حينما تخرج الشعوب لانتخاب رئيسٍ لها ألا يجب على الشعوب الأخرى أن تحترم هذا الانتخاب؟! لأن هذا الشعب بكامله خرج فانتخب رئيساً له، أنا أريد أن أُجري موازنة بين حالة الاندكاك والعاطفة الجياشة والاعتقاد والرغبة والتوجه لشيعة أهل البيت في الشعائر الحسينية هل هو بمستوى التوجه والرغبة والاندكاك العاطفي في حال الانتخابات السياسية؟!

قطعاً لا، مثل ما نحترم إرادة الشعوب في الانتخابات السياسية يجب علينا أن نحترم إرادة الشعوب فيما تريدهُ من مراسمها وعواطفها ومشاعرها الدينية والعقائدية، شعائرنا الحسينية جزءٌ من هويتنا وهي إرادة أُمَّة وإرادة الملايين وإرادة الجماهير فيجب علينا أن نحترمها أولاً وأن نفرض احترامها على الآخرين مثل ما تريد الأمم الأخرى منا أن نحترم مشاعرها ومناسكها على الأمم الأخرى أن تحترم مشاعرنا ومناسكنا.

وعزةُ هذه الأُمَّة، عزةُ شيعة أهل البيت بشعائر الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن عندنا تجارب والتأريخ ما هو ببعيد لَمَّا بدأ الظالمون بمحاربة الشعائر الحسينية بكل أشكالها، بكل أنحائها الزيارات، المجالس، الكتب التي تُنشر وتُطبع عن الحسين عليه السلام، مواكب العزاء بكل أشكالها بدأت المهانة والمذلة تتسرب إلى هذه الأُمَّة في العراق، عزتنا وكرامتنا في شعائر الحسين وفي زيارة الحسين.

أسألهُ بالحُسينِ وآل الحُسين أن لا يحرمنا من خدمة الحُسين صلوات الله وسلامه عليه

وأنتم خُدام الحسين أسألكم الدعاء جميعاً ودعائي لكم بالتوفيقِ في خدمة الحُسينِ وآلِ الحُسين

في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ